سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (44)

رسائل محمد المرابط الدلائي

محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر الدلائي

(1021/1089 هـ)

بسم الله الرحمان الرحيم

قال رحمه الله يخاطب ابن أخيه الفقيه العلامة النحرير، سيدي الطيب بن المسناوي، رحم الله الجميع ونصه:

اقسم بمن اسجد لذكائك الافهام، وانطق ببداهتك الاقلام، واخدمك القوافي، وارضاك القيم باودها الحافي، واهرق عليك من مائ الفصاحة، وافرغ عليك من حلل الجمال والصباحة، واحتفاك بغضارة المفاخر، وأظهرك على مباريك المفاخر، وجعلك للمكارم روضا فواحا، واطلعك في سماء المعارف بدرا ملتاحا، واسماك من مصباح إلى اصباح، وادار شأنك مابين صلاح ونجاح، لقد سحبت على أبناء البلاغة ذيلا، واسجلت عليهم من مطارف اللطائف نيلا، ان يتدلهون الا في زمرتك، وان ينتجعون الاعارض مزنتك، وإني لهم المباراة ولو ركبوا الكواكب، أو طاولوا الفراقد بالمناكب، وهيهات والشذرة من تراسيلك في صفحة البدر مرقومة، والفقرة من أسجاعك على وجنة الدهر موشومة، ماهي ألفاظ ولكن نجوم تهدي، أو رجوم تردي، لا بل هي الشمس قريبة السنا، بعيدة الاقتطاف والجنى، معاني تدر الغبرة،

وتسكب العبرة، وتستطير القلب ضبره، قد زحرفتها أيدي البديع، ونمقت بأساليب الترصيع، فكأنها الخرائد، أو فرائد القلائد، يهتز الشيخ لها طربا، ويتسنمها الاريب للمعالي مركبا، بدائع تنحل لها الحبى، وتندى بها خمائل الربى، قد انبعثت محاسنها من مشكاة العرفان، وتدفقت جداولها من عناصر الاحسان، لا عدمت من سنالك افضالا، ولا من غوادي سماحك صوبا هطالا، فلتدم منوه المقدار، محفوفا بالاجلال والاكبار، ان شاء الله تعالى، والسلام.

وله أيضا -رضي الله عنه- وقد أجاب به بعض الاخوان ما نصه:

سيدي، أطال الله بقاءك، وواصل ارتقاءك، وحمى ارجاءك، ودركك رجاءك، كتبت إليك عن خجل لو خامر الصخر الصلد لذاب، أو باشر الجلمود الاصم لآل كقرقار السراب، امتثالا لواجب أمرك، واعترافا بفاخر قدرك، والا فاني تستطاع مباراتك؟ أو تطاق مجاراتك؟ ولو ركبت الكواكب، أو زوحمت الفراقد بالمناكب، وقد امتد لك في البلاغة عنان، وانفسح لك فيها ميدان، فصرت تبرزها في حلاها الفاخرة، وتطلعها في صورها غير متنافرة، مرقومة البرود، منظومة العقود، قد اقمت منآدها، وقومت سنادها، إلى ألفاظ برونق الجزالة رواقة، دفاقة بماء الحسن رقراقة، تأخذ بمجامع الاهواء، وتمتزج لطافة بالهواء، بل لا يتدله البلغاء الا في زمرتك، ولا ينتجعون الاعارض مزنتك، وليس بعجيب من شيمكم، أعزكم الله، ان تكون لينة الاعطاف، بارعة الاوصاف، وقد عجنت من طينة الاعتدال، وفطرت على خلق الكمال، فلتدم بعيش زاه زاهر، باه باهر، تخدمك خرائد المعاني، وتحظى

بعلائك ربات المغاني، وتشرق بريقها فيك الاعادي، وتشرق بطلعة محياك النوادي، بمشيئة الله تعالى، والسلام وبعده:

أذكرك أم روح سناك وريحان؟ ونظمك أم روض ينم وغدران؟
أم انتزعت لبي حميا عصابة كرام، يعاطيها الزجاجة ندمان؟
وإلا فما مالي أروح مرنحا صريعا، كأني بابنة الكرم سكران؟
بلى، بهرتني من حلاك شمائل يرض لها رضوى وينهال ثهلان
تجاذبا طرفي وسمعي وخاطري ورحت وجفني بالمدامع طوفان
ذكرت بها عهد الصبا مترعرعا وهيهات من عصر الشبيبة أزمان
بأمثالها قولا بليغا وحكمة يتاح لها وصل، وينزح أضغان
كلاما كما نمنمت وشيا محبرا ونظم مرجان هناك وعقيان
يجول بها في الطرس ماء براعة ويكرع منه في المحاسن ظمآن
ويارب يوم قمته بين معشر وإخوان صدق خاضعا لك سحبان
وما ذاك إلا أن خلقك ريض وطبعك من ماء المخارم ريان

وهل علمت أبناء عصرك أنه أفيض عليها من بحارك خلجان؟

ولم لا؟ وأنت اليوم أوحد عصرنا وكلك مرموق وكلك إحسان

نعم، كل عين من سناك كليلة وقد غاص منها في روائك إنسان

فهل تردن عني أخي تحية يميل بها عطفا كما مال نشوان؟

ويندى بما روض المعارف موهنا ويهتز منها في خمائله البان

أحملها شوقا إليه، وانة ومعذرة حمل السريرة سوبان

ومن منثوراته –رضي الله عنه- أيضا ما كتبه على تأليف بعض الفقهاء، وقد اطلعه عليه، فكتب على أول ورقة منه ما مثاله:

نحمدك يامن انعمت علينا بالعوارف والمعارف، وأوليتنا من مواهبك النفائس واللطائف، ونشرت للعلوم رايات، وجعلت لها حدودا وغايات، وانتحلت حامليها بما أيدتهم من التصانيف والتآليف، فصانوها عن الخلل والتحاريف، ونصلي على محمد نبيك ورسولك، وحبيبك وخليلك، صلاة دائمة ضافية، رائقة صافية، لا ترام ولا تحصى، ولا تعد ولا تستقصى، وعلى آله الاخيار، النجباء الاحبار، الناهلين عذبك المعين، الفائزين منك بالمرشد المعين، بدور الخليقة، يوم الحشر والعرض. هذا وقد عثرت على الكتاب الذي ألفه الفاضل الامجد الامام الاوحد، الهمام الفقيه الاكبر، والبحر الزاخر الاخضر، سيبويه الزمان، ومالك الاوان، من إلى مجده تنمى المكارم والمزايا، ومن بحر علومه تستمد معاليها البرايا، ذو الفضل المؤيد، والفخر المؤبد، والمآثر الاثيرة الاثيلة، والشمائل الحميدة الاصيلة، الذي قصر عن كنه ثنائه المنطوق

والمفهوم، واحجم عن شأو علائه المنثور والمنظوم، الممتطي من المكرمات ذراها، والمتوخي من المفاخر علياها، فانتالت إليه المكارم أدناها وأقصاها، وملك أرضها وسماها، واهتزت رياض المجد عند ارسال سماء معاليه وفودها، وفتحت كمامها، وانساقت إليه العلوم فألقت إليه قيادها، ووضعت زمامها، وجمعت له الرواية والدراية ما وراءها من المجد وأمامها، فهو قطب رحاها الذي لا يتململ، وحامل لوائها وطودها الذي لا يتزلزل، فكم كساها من حلل المفاخر ما راق ورق وأبان منها من ظلم الاوهام ما بان ودق، فأصبحت ما بين بهاء وحبور، وابتهاج وسرور، للعقول باهرة، وللاسماع عامرة، وكيف؟ ومولاها أبو المحاسن العاطرة، محمد بن أحمد ميارة، الرافع لأنواع الكمالات مناره، العاكف عليها ليله ونهاره، الناشرة ألسن الركبان مناره في الآفاق أخباره، المحسنة أفعاله وأوطاره:

أنت الإمام وزين ذا الدهر والركن حيث ملمة تزري

فوقفت منه على ربع من الفضل آهل، وموقع من البراعة زاهل، فسرحت الطرف في روض مبانيه، والخاطر في خرائد معانيه، فرأيت ماملأ العقول بهورا، وشنف الاسماع حبورا، قد أتى فيه من النقل بكل بديع، ومن مباحثه ما أزرى بزهر الربيع، فبجواهر ألفاظه ممنح، وبعرائس معانيه ملمح، فهمت به حتى توهمت لفظه نجوم ليال، أو سموط لآل، ولعمري لقد أحكم ببلاغته ترصيعه، وأحسن وضعه فيه وصنيعه، أزاح به عن معانيه غيوما، وأوهاما وضيوما، فلله دره من إمام ما أكرمه من همام وما أعظمه من فقيه عالم وما أتقنه من ناقل ناثر ناظم

يا واحدا في دوحة المجد والمستضي بطليعة السعد

إن الأفاضل في الورى قد نظموا عقدا وأنت يتيمة العقد

وافيت بالعذب المعين من صدي لولاك أو داهم من الوقد

شرحا جلا خود الفرائد من لفظ حلا أشهى من الشهد

فالبدر يحكيه سنى وعلا في أفقه والوشي في البرد

أهديت جيدا قد غدا عاطلا درر البها، فجزيت من مهد

أدام الله بقاءه، وأعلى مجده وسناءه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله. وكتبه بيده الفانية، الذارية العافية، ذو القريحة القريحة، المجدلة إلى الارض الطريحة، العبد الفقير، المذنب الحقير، محمد الملقب بالصغير ابن محمد بن أبي بكر الدلائي، غفر الله له ولوالديه ولأحبته ولجميع المسلمين، آمين، والحمد لله رب العالمين.

ومنها ما كتب به –رضي الله عنه- إلى المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، قبل حجته، ونصه:

إلى الدار التي نشرت بها النبوة أعلامها، وأرسلت صوبها فيها وغمامها، وانثالت الاكوان لذراها، وخيمت في عوالي ذراها، واعتصمت بعلاها وعراها، دارما دونها مرمى، ولا فوق شرفها منتمى أو مسمى، تحار في ميادين فضلها القطا، وتقصر عنها الافكار والخطا، دار بها المختار –صلى الله عليه وسلم- أسس مجده، ورست قواعده وأبرق سعده، مطلع المعالي، محط آمال الاعالي، قد طاولت بها البسيطة السما، واستكانت لجلالتها النجوم في السما، ربع طالما كان النبي –صلى الله عليه وسلم- فيه السعي، ومنزل كثر ما انتحاه جبريل عليه السلام بالبشارة والوحي، فناهيك من أنوار تلوح من تلك القباب وم قباب تشرفت بلثم ترابها الالباب، تقطع لها نوقها الاكباد، وتقطع دون مرآها الانجاد والاوهاد، وفيها ينشد ويعاد:

يا دار خير الرسل يا مثوى المنى قلبي لأجلك ثائر الحركات

يهنيك أنك مهبط الوحي الذي يعتاده جبريل بالآيات

مغنى الرسول ومنزل قد طالما فيه تردد دائم البكرات

أسمى الخليقة منصبا وشفيعهم يوم المعاد لمجمع الحسرات

عندي لبعدك لوعة وهجية وحشا البلابل مضرم الجنبات

ولواعج لفح الفؤاد لهيبها وجوانح ترتض بالزفرات

لو ساعد المقدور أو يقضي العنا لسعيت قبل الرأس بالوجنات

ولتمت من ترب عبيرا قد زرى بالمسك مذفورا لدى النشقات

ولئن نأيت ولا أنيت لأنثرن أسفا عليك لآليء العبرات

وعلى الذي لآواك ما خفي الهوى أزكى سلام عاطر النسمات

فيا طوبى لمن حظي بمزارها وزار المختار من نزارها، فخفت اوقاره، وطرحت عنه ذنوبه واوزراه، فاغتنم مناه وجناه، وبان عنه ما اعتراه وعناه، وأدرك الامان والاماني، وسفرت له عن مخدراتها وجوه التهاني، فليله الصبيح

صباح ونهاره الفسيح نجاح، لمناغاة البشير النذير، السراج المنير، ذي الخلق العظيم، والفضل الجسيم، والمقام المحمود، والحوض الورود، والآيات البينات، الباهرات والدلالات الواضحات الظاهرات، خليل الله وصفيه، وحبيبه ووليه، الذي أسرى به إلى عرشه واطلعه على مكنون علوه وفرشه، درة الاكوان، المنتقى من ولد عدنان، الرائق عند الفخار، الطيب الاصل والنجار، والحسب النظار، صاحب الايغال والفتوح، والميثاق وآدم بين الجسم والروح، سيد ولد آدم ابو القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، من عبدك المومن بنبوتك ورسالتك، المعترف بالتقصير في خدمة الله وطاعتك، الشائق لزيارتك، السائل منك ان تجعله في كفالتك وتحت خفارتك، المكتئب الحقير، محمد الصغير، ابن محمد بن أبي بكر الفقير، عليك أفضل الصلاة وأزكى التسليم، يا مصطفى المولى الكريم، يامن اشبع الالف بصاع من الطعام ونبع النمير من بين أصابعه فروى به الجمع الاوام وانشق له بدر التمام واجتمع وسجد البعير لهيبته وخضع، وأبدى الجذع له حنينا وان لفراقه أنينا وتدلت الكواكب لمولده وانتهبت العوالم من منهله ومورده وردت له الشمس بعد

غروبها ونصر بالصبا وهبوبها وأبدى الحصى براحتيه الكريمتين التسبيح فنزه الاله بكلامه الفصيح فيا لخير الورى لمذنب عليه مآثم وخوف خطايا وجرائم فنبت به أوزاره عن مزارك ونكبته قواطعه عن مشاهدة آثارك:

العبد معتذر ذليل خاضع ومقصر، قد قصرت أعذاره

متوسل، قد أغرقته دموعه متنصل، قد أحرقته ناره

فاشفع له عند المولى الكريم، يا شفيعاه واذكره في مقامك المحمود، يا حبيباه وادخله تحت لوائك المعقود يوم القيامة يا خير من ظللت عليه الغمامة، وأفضل من لات العمامة، مع والديه واخوته، وأهل وداده ومحبته، واجعل والدنا سميك بن سمي صديقك ووليك ورفيقك خديم أهل بيتك القائم بشؤون أمتك، من خير اتباعك، الفائزين بسنتك واتباعك، الناهجين نهجك القويم، المهتدين بهداك المستقيم، اللهم اني اسألك بحقه عليك الذي ابنته، وبقسمك بعمره الذي شرفته به وفضلته، ان تجازيه عنا أفضل ما جازيت به

نبيا عن أمته، وتوتيه من الفضيلة والوسيلة، والدرجة الرفيعة الجليلة، فوق امنيته، اللهم واطلق لساني بأفضل الصلاة عليه وأزكى التسليم، واملا جناني من حبه وتوفية حقه العظيم، واستعمل أركاني بأوامره ونواهيه في النهار الواضح والليل البهيم، وأرزقني من ذلك ما يبوئني جنة النعيم، ثم الصلاة والسلام عليك وعلى الخليفتين ضجيعيك في تربك، وأخص الناس في مماتك وحياك بقربك، وعلى كافة المهاجرين والانصار، وعامة الاصحاب الاخيار، وعلى الطيبين ذريتك والطاهرات أمهات المومنين من أهل بيتك وعترتك، آمين والسلام.

وكتب رضي الله عنه أيضا إلى بعض أحبائه في الله بما نصه:

ألا حيا الله ذلك المحيا، وجاد على تيك الشمائل صيب المحيا فاحيا، ونشر روض المعارف عليه ذوائبه، ولوى عليه عمائمه وأطل سواكبه، ونضح تلك المعاطف ندى اعطافه، وحلاها منمق افوافه، وزر عليها صباح المجد جيب قميصه، وراق بلوامع وبيصه، وسحبت شمس المجادة عليه ذيولها، وامنت به امحاقها وافولها . مقام من أتطلع بارقة افقه، واشيم في ليل الاشجان طالعة وفقه، وأقلب طرفي في مراقي سمائه، ومراتب سنائه، عسى ان يتراءى لي هلال السرارة، أو اتروح من شيمه عراره

أقلب طرفي في السماء لعلني أشيم سنا برق هناك تطلعا

بلى واتها جد لمام طيفه، أو عارضا من تلقاء خيفه، فما زار ضيفا، ولا جاد ولو طيفا

كن كيف شئت وما أخالك ناسيا كرم الإخاء فإنني أتشوق

على انه سلمه الله وكلأه، وحشى باطنه نورا وملأه، أقسى من صخر فكأن مدامعي فيه على صخر

لعل التفاتا منك نحوي مقدر يمل بك من بعد القساوة للعطف

أخي ورفيقي، ومالك سري وفريقي، أبو محمد عبد الله، لا زال جيد الدهر منمقا بحلله وحلاه، ووصل بالنجم ارتقاء، وسما على خافقة المجد، وتدافعت بذكر شمائله ميامين السعد، يؤم تلك الطالعة الغراء، والنقيبة الزهراء، ورحمة الله تعالى وبركاته، ورضوانه الاعم وتحياته، هذا وان مما أوجب إلى الحضرة الاخائية الكتب —وان كان الكاتب خليقا بالعتب، اذ لم يتفقد من صافي صفوا، ولا تعاهد معاهده ألوا، وان كانا في المأثرة شريكي

زلة، وسالكي مثنى مزلة –انه جاش في صدره دهرا، وبهر لبه بهرا، ما ورد من تفظيع حال من فصل بعد ان وصل، وتنصل بعد ان اتصل، وتقبيح من اعتمى ذلك سجية، وانتحاء مطية، والتنفير من أولئك الفريق، والغضاضة من أهل ذلك الطريق، مع انه ليس من خلل الكرام، لكن مما جبل عليه اللئام، ولما اثر بان الله يسأل عن صحبة ساعة وان دون ساعة أمر الشفاعة، فكان يغمني ذلك مرارا، وأرسل إليه دموعا غزارا، وساءني من أخي اني لم أرمنه كتابا اتصفحه، أو رسولا اتلمحه، بل طوى نشر تلك الصحيفة طيا، ولوى عنها أعناق المصافاة ليا، فكأنها طيف ألم فسرى، أو حديث مفترى.

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

فتاقت نفسي إلى الكتب استنشده رحم المودة، واستوثقه انبرام العقدة وان يراجع السريرة، ويسير بتلك السيرة، فآها على معاهد الاخوة آها وواها لا محاء رسومها واها وسواي ينشد في سواك ندامة، فيما خلفه أو قدامه، يا

ليتني لم اتخذك خليلا ولم اعهدك مأوى ومقيلا والله يتولى منا التوفيق، ويسلك بنا أقوم طريق، وليعلم الاخ الصافي، والخليل المصافي، انا حدثنا ان بيد الماجد الفاضل، والعالم المناضل، من غذته المدارس لبانها، واتخدته المعارف بستانها، مفتي الحضرة المكناسية، والمثابة الراسية، أبو عبد الله العربي، من أولي قيادة المكارم وحبي، نسخة من "كتاب سيبويه"، مستقرة لديه، احتوت عليها تحت نظره خزانته، وكنتها كنانته، فإن رأى الاخ ان يسعى لنا فيها حتى تنسخ، ويعمل فيها رأيه حتى تتصل وتسلخ، بعد التسليم عليه، وتقبيل يديه، ويضرب لنا أجلا معلوما، ووقتا مرسوما، وترد إليه في حفظ الله وامانته، وامنه ورعايته، فغير مستغرب من شيمه الفائقة، وسيره الرائقة، ويسلم لنا على خاله قاضي الجماعة، وامام الساعة، وعلى كل من أحاط به نسبه، واحتوى عليه حسبه، والسلام عائد عليكم ورحمة الله.

وكتب أيضا –رضي الله عنه– مجيبا لبعض أقاربه ما نصه:

سيدي الذي طرزت المحاسن بشمائله، ووشيت الطروس بخمائله، وحليت الدراري بزواهره، وتقلدت المفاخر بفرائده وجواهره، ونمقت المعارف بكواكب حسبه، وتطاولت المحافل إلى مكارم أدبه، وثالت به العوارف والمآثر، وفاحت بكرم خيمه افواه المحابر، والسنة الاكابر، على متون المنابر، وانبعثت شيمه البدائع من مشكاة العرفان، وتدفقت جداول جوده من عناصر الاحسان، وانتظمت به السعود في أفلاكها، ونظمت به المعاني في اسلاكها، سلام عاطر، هام هامر، ما انفتحت بالزهر كمائمه، وارتاحت إلى المشوق نجوده وتهائمه.

أما بعد، لا زالت منك أيها الاخ هاتيكم الراحة، متنزل الراحة، وتيكم الساحة، مناخ السماحة، فقد انحطت إلينا من سنائك، ألفاظ روائع المعاني، روائق السروح والمباني، قد هرق عليها من انواء الفصاحة، وازيحت دجنتها بأنوار الرجاحة، ورصعت بفقر زواه زواهر، بواه بواهر، تمايل، فلها رواح، ميل

الغادة الوهنانة، أو البانة الفينانة، تهفو فرائدها بالاحشاء، وتفعل صوارم لحظها بالخواطر ما تشاء، قد انبعثت من مقام الاخ وهي طلائع حبور، تزهو بتهاديها وهي طوالع تحكي البدور، حافلة بضم محاسنه ضم العام المشهور، فقلدنا بها انعما متضافية، ومننا متوافية، وضممناها ضم الكمي لسيفه، أو الجواد لضيفه، أو الهائم لطيفه، وقد برزت تستكشف المعاصل، وتستتير سدف المناضل، فأصخنا لراعيتها، وانتدبنا لقنص شاردتها، وتحرجنا فيها اثم الماعون، ولا اصرنا شكر وصالها تأنيبا، كجعل الشقي شكر رزقه تكذيبا، ومقابلة كبار النعم بالكبائر، ومجاهرة من لا يعزب عنه ما تكن الضمائر، من نسبة ما يتيحه الى الانواء، وما يماثل ذلك من الاسواء، كما هو معنى كلام من جل ثناؤه، وتقدست صفاته واسماؤه ﴿وتجعلون رزقكم انكم تكذبون﴾ ثم لابد من تقدير يتضح معه معنى الآية، ويصير لمقتضاها آية، وذلك قبيل كلمة رزق، ويكون ابرازه شكرا لمانح الرزق، كما قرأ بهذا المضمر بعض السلف، دون ما صار عنه خلف، وحينئذ فيحتمل المعنى اما تقريع جاحد نعمة القرآن، ومواجهته بالكفران، بنسبته إلى السحر، او اضافة المبعوث به –عليه السلام–

إلى اعتمال الشعر، واما على المعنى الذي أسلفنا، والقول الذي به انفصلنا، كما تعطيه قبل آي التقدير، وما في نظامها من فوائد التكرير، والله اعلم، واعلى واحكم، هذا وقد بعثتها إليك تمشي البراز، معلمة الحراز، توافيك وهي سوام سوامر، شواك شواكر:

وافتك صائدة القلوب تبوح بهيامها إذ شفها التبريح

خوداء تمنحك الصدود وربما برزت تحاكي الغصن وهي مروح

حوراء ما شامت صوارم لحظها إلا وفي قلب الشجي جروح

فابقيت هاطل الندى بعيد الشأو والمدى، بطرف الرعاية محفوظا، وبلحظ العناية ملحوظا، بمن الله وطوله، وقوته وحوله. والسلام.

وكتب –رضي الله عنه– أيضا إلى الفقيه الاجل، العالم الافضل، أوحد عصره، وفريد دهره، أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني المراكشي –رحمه الله– رسالة نصها:

أدام الله بقاء السيادة التي جرت على المعارف فضل ذيولها، وارجت لعرفانها اكوان المكارم وقد أودى بها امحالها لنحولها، وبزغت في أوج سمائها شموس المحاسن وقد كادت ان تكرع في ماء سبوحها، وتنساب في طينة افولها وافتر ثغر كواكب العلوم تحت سرادقات عزها، وقد عبس وجه افقها، لولا طوالع بدور معقولها ومنقولها، ومدت رواق الوقار على فرائد الفوائد فعادت رائقة بشفوفها وحفولها، وهزت عوالي المعالي اهتزاز الصعدة السمراء، والسعد من خدمها، والنجم من مواطيء خيولها، فانثالت إليه المكرمات، وقد اسفرت عن غررها السيالة وحجولها، سيادة العالم الامام، الحبر الهمام، قاضي الاسلام، وواحد الائمة الاعلام، في احتياز فصول المفاخر لأصولها، أبي مهدي سيدي عيسى بن عبد الرحمن، نادرة الاوان، في

الاختصاص بخصوص الفضائل وشمولها، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ورضوانه الاعم وتحياته.

أما بعد، لازلت أيها القدوة محفوفا من الرب سبحانه بالايادي المألوفة الموسومة، قابضا بعرى الاجيال لا مفصومة ولا مقصومة، فمذ شرفتنا بجواهر خطابك، وزواجر كتابك، شرف الاعناق بالاطواق، ونعشتنا بسواكب جوابك، وأطايب وطابك، انتعاش الصب غداة التلاق، ما برحنا نزر أزرار جلالتكم على الجوانح الجوانح، ونعقد معاقدها، ونرسى لمواصلتكم قواعد معاقد ودادها، ونحفل مقاعدها، ونعمر ربوعا للوصال، كادت لولا طوالع مجدكم يمحوها الدثور، أو يعفوها الثبور، فتلافيتها بشمائل يندى بها نسيم الصبا، وتضوع بنشرها خمائل الربى تلافيا تهادت به سرورا، وتمايلت به حبورا، وراقت به اروق من نفائس الشذور، على ربات الخدور، فحياك الله من إمام حمل الامانة فاضطلع بها، ومن همام راح مأوى لها ومثوى لها، وما ثوى لها، وقامت به أركان الخلافة برفع الخلاف عن شمولها، وشرفت به فقر الثناء وربما تشرفت الاطواق بأجيادها، وسرى الفضل من الصوارم لأغمادها،

وليس بعجيب من شيمكم أعزكم الله ان تكون لينة الاعطاف، كاملة الاوصاف وقد عجنت من طينة الاعتدال، وفطرت على خلق الكمال ونحن –إنشاء الله- ممن ينتظم في سلك تلك الودادة وتحتوى على وسطاه تلك القلادة، فلتدم في عيش زاه زاهر واف وافر، تخدمك حرائر المعاني، وتحظى بعلائك خرائد المغاني، وتشرق بريقها فيك الاعادي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يتعاقب ويتوالى.

وكتب –رضي الله عنه– أيضا للسلطان مولاي إسماعيل مولانا الشريف جوابا له عن رسالة خاطبه بها ما نصه:

أدام الله الحضرة الامامية، والمثابة الهاشمية الهمامية، وأيدها بسيرة العمرين، كما حاطها تعاقب الملوين، وأسبغ عليها سوابغ اجماله، كما افرغ عليها سحاب اجلاله، ووقاها مقاحم الاخطار، كما أتاها بغنائم الاوطار، المقام الذي انثالت إليه وجوه الميامن تتهلل كما تمايلت اليه المكرمات تتهادى وتتململ، ودانت له رقاب الامم إعظاما، كما ازدهت في معالم المعارف إكبارا وإكراما، وطافت به الاماني، كما دارت به التهاني ووسع امتنانه البدو والحضر، كما استخدم سلطانه ربيعة ومضر، وأقام عمود المملكة بعد اشرافه، كما استنقد أسيرها بعد افلاسه وايجافه، اذ تفرع من شجرة شماء، أصلها ثابت وفرعها في السماء، وانتهج الحنيفية البيضاء حسا ومعنى فانبرى مثابة للناس وأمنا، وصار من كل انسان بمنزلة انسانه، من اوسانه، وأقرب للسانه، من ارسانه، وبيانه من بيانه، وفي شمائله ينشد

هو البدر والناس الكواكب حوله وهل يشبه البدر المنير الكواكب

لازالت مآثره مخلدة في صحائف الطروس، كما وخطأت غضبه مرتسمة في صفائح الجسوم والنفوس، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ورضوانه الاعم وتحياته.

هذا وقد ورد علينا من حضرتكم العلية، ومكاتبتكم السلطانية، كتاب منور الارجا، رافع الحجا، مطمع المسالك فائت المدارك، قد طابقت ألفاظه معانيه، وخالفت أجناسه مبانيه، فتصفحناه تصفح مغتبط وتعرفنا ما فيه تعرف منتشط فألفيناه قد أسفر عن غرر المودات والمصافاة المؤداة، وقد آن بما صدر عنه من المفاخر المخلدة، والمفاخر المؤيدة، التي جمعت الاهواء المفترقة على محبته، وألفت الآراء المختلفة على مودته، ولا غرو في ورود الفضل من معدنه، وانما يستغرب صدوره عن غير موطنه، وكيف لا؟ وهو غرة الزمان، وناظر عين الاوان، وينابيع الجود تتفجر من أنامله، وأزاهر السماح تضحك

عن فضائله وفواضله، ومواقفه شهيرة، وسيرته لا تفضلها سيرة، الا صار في ذروة المجد صدرا، وفي هالة الفخار بدرا، خلد الله ملكه، ونظم في عقد المعالي سلكه والسلام.

إِجَازَةُ الْمُرَابِطِ لأَبِي عَلِيٍّ الْيُوسِي

وَلَفْظُ الإِجَازَةِ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ: أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُؤَهِّلِ أَهْلِ اصْطِفَائِيَتِهِ لِلاقْتِدَاءِ بِسَيِّدِ الْبَشَرِ، وَمنهلِ خَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ مَنَاهِلَ السنن وَالأَثَرِ، الْمُيَسِّرِ لَهُم مِنْ طُرُقِ الإِجَازَةِ مَدَارِجَهَا، وَمِنْ أَعَالِي الأَسَانِيدِ مَعَارِجَهَا، حَتَّى اجْتَلَوْا مِنْ سَمَاءِ مَعَارِفِهَا أَقْمَارَهَا، وَمِنْ أَدْوَاحِ عَوَارِفِهَا أَثْمَارَهَا، وَوَقَفُوا بِعَرَفَاتِ الْعِرْفَانِ، فَتَدَفَّقَتْ لَهُم جَدَاوِلُ الإِحْسَانِ. وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَاسِطَةِ عِقْدِ النَّبِيئِينَ، وَصَفْوَةِ خُلَصَائِهِ الصِّدِّيقِينَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الأَطْهَارِ، وَحُمَاةِ دِينِهِ الأَنْصَارِ. فَإِنَّ اتِّصَالَ الإِسْنَادِ غَايَةٌ يَتَجَارَى لاِحْتِيَازِهَا ذَوُو النَّبَاهَةِ مِنْ فُضَلاَءِ الأَمْصَارِ، وَيَتَبَارَى فِي الامْتِيَازِ بِشَرَفِهَا الْكُبَرَاءُ فِي عَامَّةِ الأَعْصَارِ، حَتَّى لَقَدْ رَكِبُوا فِي طِلاَبِهَا النَّتَائِفَ، وَاقْتَحَمُوا فِي ابْتِغَائِهَا الْمَخَاوِفَ، وَرَفَضُوا الأَوْطَارَ وَالأَوْطَانَ، وَهَجَرُوا الْمَعَاهِدَ وَالإِخْوَانَ، وَكَيْفَ وَهِيَ الْعُرْوَةُ الَّتِي مَدَارُ الْعُرَى عَلَيْهَا، وَالْمَأْثَرَةُ الَّتِي مَرْجِعُ الْمَآثِرِ إِلَيْهَا. وَقَدْ سَلَكَ ذَلِكَ السنَنَ الصَّدْرُ الرَّئِيسُ، فَارِسُ الإِمْلاَءِ وَالتَّدْرِيسِ، شَيْخُ الْجَمَاعَةِ بِالدِّيَارِ الْبَكْرِيَّةِ، وَالْحَضْرَةِ

الدِّلاَئِيَّةِ، ذُو التَّدْقِيقِ الْمَعْهُودِ، أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مَسْعُود، صَاحِبُ النَّبَاهَةِ الشَّامِخَةِ، وَالنَّزَاهَةِ الْبَاذِخَةِ، وَالْجَلاَلَةِ الْعُلْيَا، وَالْهِمَّةِ الَّتِي نِيطَتْ بِالثُّرَيَّا، الْمُتَمَسِّكُ مِنَ الرِّوَايَةِ بِأَسْبَابِهَا، وَمِنَ الدِّرَايَةِ بِأَهْدَابِهَا، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الْمَعَارِفُ زِمَامَهَا، وَجَمَعَتِ السِّيَادَةُ مَا وَرَاءَهَا مِنَ الْمَجْدِ وَأَمَامَهَا، فَرَغِبَ إِلَيَّ أَنْ أُجِيزَهُ، وَأُشَايِعَ تَبْرِيزَهُ. فَأَجَبْتُ مُرَادَهُ، وَبَادَرْتُ إِسْعَادَهُ، فَأَجَزْتُهُ إِجَازَةً تَامَّةً، مُطْلَقَةً عَامَّةً، فِي كُلِّ مَا يَصِحُّ لِي وَعَنِّي رِوَايَتُهُ، وَيَرْفَعُ فِي أَنْدِيَةِ الإِجَازَةِ بَنْدَهُ وَرَايَتَهُ، مِنْ كُلِّ مَقْرُوءٍ وَمَسْمُوعٍ، وَمُفْرَدٍ وَمَجْمُوعٍ، وَمَنْثُورٍ وَمَنْظُومٍ، وَمَأْثُورٍ وَمَفْهُومٍ، عَلَى الْخُصُوصِ وَالْعُمُومِ، عَلَى نَهْجِ الرِّوَايَةِ الْمَعْلُومِ، مِمَّا أَحَاطَتْ بِهِ فَهْرَسَةُ الإِمَامِ ابْنِ غَازِي بِرِوَايَتِنَا إِيَّاهَا عَنْ شَيْخِ الإِسْلاَمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ بْنِ أَبِي الْمَحَاسِنِ يُوسُفَ الْفَاسِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقَصَّارِ عَنْ أَبِي النَّعِيمِ رِضْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّهِيرِ بِسُقَّيْن عَنْ مُؤَلِّفِهَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَازِي. وَفَهْرَسَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَنْجُورِ، وَالإِمَامِ الْمِنْتُورِي، وَابْنِ الزُّبَيْرِ. وَحَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ عَنْ مَوْلاَنَا الْمُحَدِّثِ الزَّاهِدِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ عَبْدِ الْهَادِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ عَنْ وَالِدِهِ الإِمَامِ، وَعَنِ الْقَصَّارِ وَأَبِي

الْعَبَّاسِ الْمَعْرُوفِ بَابَا السُّودَانِيِّ وَأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّهِيرِ بِابْنِ الْقَاضِي وَغَيْرِهِمِ مِنْ مَشَائِخِهِ. وَإِجَازَتَا الشَّيْخَيْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْهَادِي وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيِّ إِيَّايَ، وَهُمَا عَامَّتَانِ قَالَ ذَلِكَ وَكَتَبَهُ بِيَدِهِ مُتَلَفِّظاً بِالإِجَازَةِ أَوَاخِرَ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ (مُفْتَتَحَ عَامِ تِسْعَةٍ وَسَبْعِينَ، بِمُوَحَّدَةٍ قَبْلَ الْعَيْنِ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الدِّلاَئِيِّ) عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ آمِينَ. انْتَهَى.